الفصل الأول
مقدمة كتاب النية

النية: هي قبول القلب العزم على فعل مسلوك أو سلوك أو عمل
مراحلها: أربعة، خاطرة ثم هم ثم عزم ثم قبول بالقلب، كما في الجدول:

رقم المرحلة	اسم المرحلة
١	مرحلة الخواطر
٢	مرحلة الهم
٣	مرحلة العزم
٤	مرحلة القبول

فإذا قبل القلب العزم على لزوم أمر ما فقد تمت النية في زمانها الأول قبيل التنفيذ ثم يجتهد السالك في استبقاء سلامتها منضبطة في زمانها الثاني أثناء تنفيذك لتلك الطاعة ويمتد جهدك وسعيك لضبطها في زمانها الثالث وهو بعد انتهاء تنفيذك لتلك الطاعة كأن لا تتبع ما أنفقت منا ولا أذى مثلا كالذي ينفق ماله رئاء الناس ونحوه كما سنفصل في هذا الكتاب المبارك بإذن الله

قال النبي(ص): إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) أو كما قال(ص) الحديث، وقبيل بحث فصول كتاب النية لابد لنا من التعريج على مسائل تساعد السالك والدارس في الفهم ثم حسن لزوم ضبط النية، وهي: محاور ثلاثة بكل محور منها مسائل عدة لتوضيحه ولو قليلا:

١-الذات الإنسانية وضبط النية
٢-النية والتوحيد
٣-السالك المجتهد وضبط النية

المحور الأول: الذات والنية:

الذات مكونة من نفس تسكن البدن يحييان بالروح كما بيناه مختصرًا في كتابنا يوم وليلة في معية رب البرية بنسختيه العربية والإنجليزية، ولله الحمد، ولأن النية عمل قلبي، فإن نفسك هي موضع بحوث النية والبدن ينفذ أعمالك الظاهرة والنفس تنفذ أعمالك الباطنة وتداخل الظاهر والباطن حال حصوله وهو كثير، لا غبار عليه، إنما نفصل لنفسر، والروح تسمو بالصلاح حال ترقيك في رتب الإيمان بحسن ضبط النية ثم لزوم الخير وترك الشر، أو يتدنى بالروح عملك من جميع السيئات حال تدنيك في رتب الإيمان بسوء ضبط النية وبلزوم الشر وترك الخير.

ومما يلزم الإشارة إليه ولو بيسير بيان عن النفس الإنسانية حسب نظريتنا المباركة والتي هي أساس كل بحوثنا وكتبنا فيها، ومنها كتابنا هذا في النية، نورد مسألتين:

المسألة الأولى: أدوات سلامة ضبط النية في نفسك وبقلبك يا مؤمن:
المسألة الثانية: حصول النية بين السلامة والاعتلال: ومدى صعوبة ضبط النية.

المسألة الأولى: الأدوات:

كما سنفصل بإذن العلي القدير لاحقًا، دقائق النية وضبطها، نجد أن النية لضبطها كما يحب ربنا جل وعز ويرضى، يلزمها أمور كثيرة جمعناها تحت (الأدوات):

١-مسلوك أو فعل ما، نريد أن نضبط نيتنا للزومه
٢-قلب سليم يقود ويدير عملية ضبط النية هنا ومن ورائه قوى وجيوش الخير
٣-قلب معتل سيقاوم سعينا لسلامة ضبط النية ومن ورائه قوى وجيوش الشر

٤-موقعك أنت أخي السالك وكذلك أنتِ أختي السالكة، أين أنتم في سلم الإيمان.

٥-المحيط الذي تتواجد فيه حال ضبطك لنيتك، هل أنت وحدك أم مع آخرين وهل أنت في بيئة صالحة أم فاسدة، وغير ذلك من المؤثرات مع أو ضد ضبط النية

٦-المدخل الذي ستدخل أنت منه بقلبك لبدء عملية ضبط النية أسليم أم معتل، فليس من دخل يطلب ضبط نيته بقلب واع مقبل على ربه كمن غفل قلبه وانشغل بالدنيا.

المسألة الثانية: حصول ضبط النية بين السلامة والاعتلال:

وهو نتيجة لقدرتك على إدارة معركة ضبط النية بسلامة حتى ولو كنت ضعيفا في رتب ودرجات سلم الإيمان، فيمكنك بحسن الضبط تحقيق نصر لحظي على قوى الشر رغم ضعفك، فيزداد إيمانك وقد تترقى وتصبح مجتهدًا أو قويًا، فقط اعقلها وتوكل، هكذا يحيا المؤمن، لا ينهزم بضعفه وكذلك لا يغتر بطاعاته لله تعالى

وسوف يتجلى ذلك وضوحا في سياق فصول هذا الكتاب المبارك بإذن الله تعالى

وفي ذلك نشير إلى ثلاثة مسائل هي:

الأولى: كيف تنتصر لحظيا رغم كونك ضعيفا وحزب الشر فيك أقوياء؟:

من أسرار بحوثنا في الذات الإنسانية وعلوم الإيمان، أثبتنا بيقين يقبله المؤمن العاقل أن كلمة التوحيد وشهادة الإسلام تغلبان كل الذنوب وتقهر كل حزب الشر مجتمعين إذا أخلص المؤمن وحقق سلامة شروط التفعيل لمقتضيات الذكر بالقول كما بيناه في كتابنا يوم وليلة في معية رب البرية ولله الحمد، فمن حققه يغلبهم في لحظته تلك ويبقى غالبا ما بقي على سلامة ذلك واعتقاده، بمعنى استبقاء ما بلغ في سلامة الإدراك في التوحيد لله وشهادة أن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله

فنحن كما عرفنا الاعتقاد: هو المداومة على سلامة الإدراك.

والإدراك: هو تفعيل مقتضى العلم والفهم بالقلب فيما نقول وما نفعل

وتفسير ذلك النصر الغير متوقع من كثير من المؤمنين، يرجع إلى ثبات الصدق في الوعد الإلهي، كما في قوله سبحانه (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) الآية، فمن لجأ ودعا من باب لا إله إلا الله، مخلصًا مقبلًا، على ربه بقلب واع، لابد وأن الله سينصره بفضله وعزته سبحانه وتعالى، ولكن المشكل الذي يهوي بضعيف الإيمان بعد انتصاره عليهم في ضبط نيته لفعل خير أو ترك شر، ليس تخلي ربه جل وعز عنه ولكنه عودته إلى شهواته وهواه ودنياه وملهياته، فينسى ربه وينسى طاعته لربه، فيكله ربه لما وكل هو نفسه إليهم، فيغلبونه ويزيدونه ضعفًا على ضعفه نعني حزب الشر.

وبعض المهتدين الذين إذا ذاقوا حلاوة الإيمان بعد الإثم والفسوق والعصيان، تعلقوا به ولا يتركوه أبدا حتى يموتون، فأولئك كتب الله في قلوبهم الإيمان ولكن غلبت عليهم شقوتهم بعض الوقت فدخلوا في أنفاق وظلمات المعاصي فتاهوا، حتى إذا جاء وقت اللجوء إلى الله، فصدقوا في طلبهم، أبصروا شعاع النور من بعيد، فأصروا على السعي خلفه حتى أدركوه، وبذلوا كل جهد لينتصروا تلك اللحظة ويحسنوا ضبط النية فيها، فيمسكوا بقلوبهم بحبل الله المتين ولا يفارقوا صراطه المستقيم حتى يأتيهم اليقين، فيلاقوا ربهم فائزين، وسبحان العلي المولى المعين .

فأنت يا من هو مثلي ضعيف الإيمان، كلما حاولت ضبط نيتك ثبطوك وحاولوا أن يمنعوك عن المحاولة، لأنهم يعلمون أنهم لو تركوك تحاول ستنجح وتهزمهم، أولم يقل زعيمهم: (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) سورة إبراهيم، وتذكر يا عبد الله حال من يستعين بوزير على عامي، فما بال من استعان بالرب الكريم العلي، ولكن لأدب الاستعانة وسبلها شروط، يسيرة لكنها مهمة: وهي أن تستجيب لله وتؤمن به، فيرشدك الله لسبل حسن الاستعانة وحسن السعي فتنجح في ضبط النية ثم في لزوم سلامة المسلوك، فتكون في جنب الواحد القهار فتنتصر.

الثانية: بعض متطلبات السلامة:

سلامة ضبط النية مسألة كمال الإيمان، لأن من سلمت نيته انضباطا، سلم عمله كله ونال أجره كاملا، وكان من أصحاب معية رب البرية، لا يغلب ولا يضام .

وكما سنبين في هذا الكتاب، فسلامة ضبط النية تقتضي سلامة في الذات وسلامة في تناول الأدوات، وكل ذلك معظمه غائب، فنذهب بقلوب مقبلة على ربها تقر بذنوبها وضعفها، ونلزم ما نبين من أعمال بالقلب والجوارح حتى تنضبط النية بعون رب البرية رغم غياب الأسباب البشرية، لأن الناصر هو القدوس ذو الذات العلية.

الثالثة: بعض مسببات الاعتلال:

ضد السلامة تجد أن اعتلال ضبطك للنية يكون بسبب علل في الذات وعلل في تناول أدوات ضبطها، وهذا ما نحن عليه، ودور المؤمن وواجبه هنا، أن يرصد علله ومواطن ضعفه ويحاول علاجها كما نبين فيما سبق وما يلي من كتبنا في برامج

التطبيق العملي وغيره، والله يوفق من شاء وطلب الهدى والتوفيق بحسن السعي وحسن الصبروحسن الظن بالله ولو تأخر النصر، ذلك هو المؤمن.

المحور الثاني: التوحيد والنية:

أما التوحيد والنية فتلك المسألة الأزلية، فلا نية بلا توحيد ولا توحيد بلا نية، ولذلك كان من ضبط النية موحدا صادقا، وكل موحد هو لو صدق قد أحسن ضبط النية.

فتعالوا نتمتع ببعض الفهم والإدراك في خيرات التوحيد وضبط النيات:

التوحيد في التطبيق العملي هو: إفراد الله تعالى بالقصد والإجلال في جميع الأقوال والأفعال بقلوب تحسن الظن بربها الواحد الأحد الكبير المتعال.

والنية في التطبيق العملي هي: قبول القلب العزم على فعل مسلوك.

ومعناها حال سلامة ضبطها، إفراد القلب قبول العزم على ذلك القول أو الفعل، لوجه الله تعالى وحده، توحيدا وإجلالا، بحسن ظن ويقين، بأن الله تعالى وحده يمكننا من إمضاء ما عزمنا عليه إن شاء سبحانه وتعالى، وإن منعه عنا أو منعنا عنه فلخير يعلمه مدخر، أو لشر يعلمه سبحانه قد رد عنا مزدجر، فكم هي مماثلة للتوحيد، وهل ضبط النية إلا دليل على سلامة التوحيد، اللهم وفقنا واهدنا، آمين.

وإذا كانت جميع أعمال النية هي أعمال قلبية، حتى وإن تخللتها أعمال للجوارح بقول أو بحركة، تحصل أثناء ضبطنا للنية، فإن القلب هو الذي ينوي، ومن يعلم السر والنجوى، هو الله، فهل من ذهب يكابد مصاعب ضبط النية ولا يعلم به سوى رب البرية، وقد عزم على الخير، فهل هذا سوى موحد مؤمن قد صلح هنا، وضده من عزم على فعل الشر، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم، سبحانه وتعالى، فهل هذا سوى آثم لئيم، نسأل الله العفو والعافية، اللهم آمين.

المحور الثالث: حال المجتهد وهو يضبط نيته:

هذا ما سوف نفصله في هذا الكتاب كمثال نتعلم منه كيف يضبط نيته، وقد اخترناه وسطا، بين الضعفاء والأقوياء، والله الموفق والمستعان .

النية وحديث النفس:

قد علمنا أن النية هي قبول القلب العزم على فعل مسلوك ما أو عمل ما، والنية هي حديث نفسك إلى نفسك بقلبك الذي يتابع ويحكم ويدير جميع مراحلها إذا كان يقظانا، أو يحصل الاعتلال لو كان غفلانا، فحصول ضبط النية لفعل الخير (قلب سليم يقظان) أو لفعل الشر (قلب معتل غفلان)، لا يتم إلا بقبول القلب لذلك الفعل الذي مر ولو بمنتهى السرعة بمراحلها الأربعة خاطرة ثم هم ثم عزم ثم قبول بالقلب، وهنا مكمن ضعف المؤمن وخطورة حزب الشر، ونوضحه بالإجابة على السؤال التالي: كيف نقع في الإثم رغم أننا نعلم بحرمته ولا نحبه ولا نصر على فعله؟

وفي بيانه نورد ثلاث مسائل:

الأولى: المؤمن لا يحب الإثم:

المؤمن الموحد لله غير مشرك به سبحانه وتعالى، لا يمكن أن يحب الإثم والفواحش البتة، وهذا المقياس يمكن أن تقيس به أخي المؤمن وأنتِ أختي المؤمنة، ونحن جميعًا، نقيس سلامة فطرتنا من اعتلالها، كما يلي:

مقياس سلامة الفطرة من جهة حب الإثم أو كرهك له:

سليم الفطرة: ذاك المؤمن، لا يحب الإثم ويحزن لو وقع فيه ويسارع بالتوبة

معتل الفطرة: ذاك ضعيف الإيمان فاسد القلب الذي يحب الإثم ويعتده، ولا يقلع عنه.

وكم من آية وحديث في بيان حب المؤمن للطاعة وكرهه للآثام، يا رب عفوك.

الثانية: المؤمن لا يصر على الإثم ولا يسرف فيتمادى فيه:

هل تتدبر معي قوله تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) الآية، فالمؤمن سرعان ما يفيق من غفوته ويندم على ذنوبه إذا وجد نفسه قد واقعها، فلا يصر ويتمادى مسرفا غير آبه بغضب ربه على من

عصاه ولم يتب، وأكثر الضعفاء الذين يرجى لهم العودة والترقي ليصبحوا من المجتهدين أو أعلى منهم، هم أولئك القوم الذين إذا أذنبوا أسرعوا بالتوبة والإقلاع، فانتهوا جميعًا.

الثالثة: أن حزب الشر في ذاتك يجتهدون للظفر بك ولإغفال قلبك حتى تقع في الإثم فإن أسرفت وتماديت فأنت حبيبهم، وإن ثبت إلى رشدك وأقلعت عنه، فسيعاودون الكرة لإضلالك من جديد:

اعلم يا مؤمن، أنك كلما لزمت ضبط نيتك في كل ما تفعل، حتى لو أخفقت في ذلك الضبط، فإنك تكون في كل مرة قد أغلقت في وجه حزب الشر أبوابا كثيرة، يدخلون منها إلى قلوب من لا يفعلون مثلك ولا يحرصون على ضبط النية مهما فشلوا في سلامة ضبطها، فلزومك سبيل ضبط النية يجعلك تلجا إلى ربك وتبصر ماذا أنت فاعل، وهذا الإبصار وحده يصرفك عنهم وعن وساوسهم وإغوائهم لك، أما المتغافل المتكاسل في طلب ضبط نيته فهو فريسة سهلة لهم فيضلونه كثيرا .

التفريق بين النية وحديث النفس:

النية هي حديث نفس حاصل محقق إذا تم ضبطها وتحققت لها آثار، بالثواب عليها لو كانت خيرا، حتى لو لم تفعله، ثم وبأجرك عليه إذا فعلته، أو بالعفو عن الشر إن لم تفعله بعد أن نويته، وتأخذ حسنة على امتناعك عن فعله، فتلك طاعة لله، فمنعك خوفك من ربك من فعله، أو تجزى بالسيئات على قدر ذلك الشر إذا فعلته بعد النية.

أما حديث النفس: فهو خواطر تمر على قلبك، منها ما يستوقفك فتناقشه وتدور معه قليلا ثم تنساه وتنتقل إلى غيره وهكذا، حسبما تسوقك سهام خواطرك الذاتية، بشرط ألا يتحول من تلك الخواطر شيء إلى نية ثم مسلوك، أو حتى إلى مسلوك بغير ضبط النية، فحينئذ هو مسلوك حاصل، ولا يكون من حديث النفس

توجيه ضبط الخواطر الذاتية سواء الداخلية من ذاتك أو التي تأتيك من خارجها:

المؤمن اليقظان قلبه، يجتهد في ضبط ذلك الموجه، ويضع نفسه في محيط الخواطر السليمة فيصاحب المؤمن التقي ويرتاد الطرقات التي فيها الخير ويبتعد عن الأشرار وأماكن الشر والشبهات، فساعد نفسك يا مؤمن، فكل مسلوك أو فعل تفعله، إنما أصله خاطرة تمر على قلبك، ثم تسلك طريق النية ثم طريق حصول المسلوك، كما بيناه في كتابينا المعية وأسرار النوم، ومعظم النار من مستصغر الشرر فانتهوا .

النية والظن:

كما علمنا في النية وحديث النفس، نجد أن الظن، هو أكثر من مجرد حديث للنفس وأقل من اليقين الذي تضبطه النية، إلا ذلك النوع من الظن كما في قوله تعالى: (إن بعض الظن إثم) سورة الحجرات، فهو ظن قد ترقى وصار يقينا في قلبك فتأثم به إذا كان في ظنك به إثم، كما يتعلق بالظن في فلان بالزنا أو بأنه لص، ونحوه.

أما الظن: فهو تحول الخاطرة في قلبك إلى هم تريد أن تعزم عليه بقلبك، لكن العزم لم يقع منك عليه، فمثلا، يقال لك فلانة زنا بها فلان أمس، فكلما خطرت على قلبك تلك الخاطرة ثارت في نفسك دواعي الهم بتصديق ذلك البهتان، فيهما، والمؤمن لا يقع في ذلك، كما أمرنا في حادثة الإفك، كما قال تعالى: (لو إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين) سورة النور ١٢، فالمؤمن يوقف ظنه عند الهم ولا يسمح له بالدخول في العزم بقلبه عليه، وإلا قد يأثم.

ومسألة التبين بعد الظن لها ضوابط ليست عن بحوث النية ببعيد فما هي؟

ضوابط اتباع الظن بالتبين قبل الوقوع في الإثم بسوء الظن:

١-لا تتبع عورات الناس فيتتبع الله عورتك فيتعرض من يفعل ذلك إلى الفضائح

٢-تعمد ستر الناس لا فضحهم، فمن ستر مؤمنا ستره الله يوم القيامة

٣-لا يمنعك سترك للناس من شهادة الحق، بضوابطها وبالحكمة وعدم الكيد للناس.

٤-الزم حسن الظن بالناس وابتعد عن سوء الظن.

٥-لا تكن هين يسخر منك اللئام ويستهزؤون بك، فتحرى لعرضك ولأماناتك بالبينة.

وسوف يتضح الكثير من مسائل حديث النفس والظن في بحوث هذا الكتاب بإذن الله.